الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام).. قدوة رسالية صالحة

الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)؛ الإمام الزكي النقي، الذي عاش مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طفولةً منفتحةً على كلّ أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وروحانيته وعلى كلّ كلماته. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبّه ويحبّ أخاه ويدعو الله لهما: «اللّهُمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما وأحبّ مَن يحبّهما». وهكذا كان محلّ رعاية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد عاش في أحضان أُمّه الطاهرة المطهرة المعصومة (عليها السلام)، التي كانت على الرغم من حداثة سنّها، تختزن عِلم رسول الله، والتي انطلقت في الإسلام لتكون المعلّمة لمن حولها من النّساء، ولتكون المدافعة عن الحقّ والقويّة في الموقف. وقد انطبعت شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) بشخصية أبيه الإمام عليّ (عليه السلام)، الذي عاش معه شبابه، فأعطاه من عقله عقلاً، ومن علمه علماً، ومن شجاعته شجاعة، ومن صلابته في الحقّ صلابةً، ومن صبره صبراً، حتى إنّه انطلق ليكون الإنسان الذي تمثّل شخصية أبيه، كما كان يشبه جدّه خَلقاً وخُلقاً. وكذلك عاش (عليه السلام) المشاكل التي عانى منها أبوه الذي ضحّى بكلّ ما عنده في سبيل الإسلام، وعمل بكلّ جهده للمسلمين، ولاقى الكثير من التحدّيات، وعانى الكثير من الآلام، وزُرعت في طريقه الإصلاحي كلّ الأشواك. وهكذا كان الإمام الحسن (عليه السلام) شبيه أبيه في ذلك. كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول عنه وعن أخيه: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»، «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، ولكنّه (عليه السلام) صبر كصبر أبيه

وصبر أُمّه وصبر جدّه، فواجه جميع المواقف السياسية بكلّ عقلانية، فلم يكن صبره صبر الضعفاء، بل صبر الحكماء، وكان يفكّر كما كان أبوه يفكّر، في أن يحفظ للمسلمين سلامهم وتوازنهم، وأن يجمع كلمتهم حتى لو كان ذلك على حساب قضاياه الخاصّة.

يشكّل الإمام الحسن (عليه السلام) القدوة الصالحة والحيّة للمؤمنين المخلصين، فعندما نريد أن نتفهّم الإمام الحسن (عليه السلام)، فليس أفضل من أن نقرأ ما قاله عنه ابن أخيه الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في ما رُوِي عنه. قال (عليه السلام): «كان أعبدَ الناس في زمانه ـ لم يكن هناك عابد في مستواه ـ وأزهدهم ـ على الرغم من وفرة الأموال لديه التي كان يعطي منها الفقراء والمساكين ـ وأفضلهم. وكان إذا حجّ حجّ ماشياً ـ مع أنّه كان لديه ما يركبه، تواضعاً لله ـ وربّما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذ ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره، شهق شهقةً يخشى عليه منها». ويتابع الإمام زين العابدين (عليه السلام) حديثه عن عمّه فيقول: «وكان إذا قام في صلاته، ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّوجلّ، وكان إذا ذكر الجنّة والنار اضطرب اضطراب السّـَليم، وسأل الله الجنّة وتعوّذ من النار، وكان لا يقرأ من كتاب الله عزّوجلّ: (يَا أَيّـُهَا الّـَذِينَ آمَنُوا) إلّا قال: لبيك اللّهُمّ لبّيك ـ كأنّه يتصوّر أنّ الخطاب موجّـَه إليه، وأنّ الله يناديه فيستجيب للنداء ـ ولم يرَ في شيء من أحواله إلّا ذاكراً لله سبحانه». ويُنقل عنه (عليه السلام)، أنّه والإمام الحسين (عليه السلام)، التقيا بشيخ كان يتوضّأ ولا يحسن الوضوء، فأرادا تعليمه، ولكنّهما كانا في قمّة الشباب وهو شيخ كبير، وعادةً، لا يقبل الكبير من الصغير أن يعلّمه، ولكنّ الإمامين (عليهما السلام) اختارا أسلوباً آخر، إذ تعمّـَدا إظهار تنازع بينهما بشأن الوضوء، ثمّ قالا: «أيّها الشيخ، كُن حكماً بيننا، سيتوضّأ كلّ واحد منّا. فتوضّآ، ثمّ قالا: أيّنا أحسن؟ قال: كِلاكما تحسنان الوضوء، ولكنّ هذا الشيخ الجاهل ـ يعني نفسه ـ هو الذي لم يكن يحسن». وبهذا الأسلوب الإنساني الحكيم، أراد الإمامان أن يحفظا لهذا الرجل كرامته، فقد علّماه ما يجب عليه بكلّ محبّة، من دون أن يسيئا إلى كرامته، وهذا هو خُلق أهل البيت (عليهم السلام).